مجلة الرائد

العدد : ٢١٦ الموافق في شوال ١٤٢٠ هجري ٢ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : لماذا اضطرب السودان ؟	بقلم : مدير التحرير

منذ إعلان الرئيس السوداني عمر حسن البشير عن حلِّ المجلس التشريعي ، وإعلان حالة الطوارىء ، وتعطيل بعض بنود الدستور .. وأبناء الحركة الإسلامية - على امتداد الأرض - مغتمون ومهتمون بمعرفة ما يجري في هذا القطر العزيز ، آملين أن يضعوا أيديهم على علة الأزمة لعلهم يستخلصون العبرة من التجربة . أما غيرهم من القوى والتيارات الداخلية والإقليمية والعالمية فإنهم أبدوا تفهماً لما حدث أو أظهروا تأييدهم لإجراءات رئيس الجمهورية .

والذي يلوح لنا أن ما وقع في السودان لم يكن مفاجئاً للعارفين بفكر التيار الإسلامي الذي وصل إلى السلطة في هذا القطر وبممارساته العملية .. ونرى مفيداً أن نعرض رؤيتنا لأسباب الأزمة السودانية .

أولاً : إن اعتماد التيار الإسلامي الذي يقوده الدكتور حسن الترابي على المؤسسة العسكرية في الوصول إلى السلطة .. يحمل في طياته المغامرة في إمكانية اللجوء إلى القوة لحسم الخلاف عند نشوبه داخل صف الحزب الحاكم .. إذا تباينت الآراء ، وتعددت الاجتهادات .

ثانياً : إن طبيعة مؤسسات الدولة التي اعتمدها الحزب الحاكم في السودان توحي بوجود إشكاليات في الفكر السياسي داخل أروقة أصحاب القرار ..

❁ فالحزب الحاكم يستند من الناحية الفكرية إلى أن رئيسه (الأمين العام) تجب طاعته من قبل جميع أفراد الحزب ومؤسساته وفقاً لنظام (البيعة) .. وهو بهذا كأنه يأخذ بتجربة الحزب الشيوعي السوفييتي .. فقد كان الأمين العام للحزب هو الحاكم الفعلي على الرغم من وجود مسميات في الدولة (رئيس الدولة ، رئيس مجلس الوزراء ...) .

❁ وأقام الحزبُ الحاكم الدولة على النظام الجمهوري الذي يعتمد انتخاب رئيس الجمهورية من قِبل الشعب مباشرة ، وهذا يعني أن رئيس الجمهورية يستمد سلطاته من الشعب وليس من الحزب ، وأنه لا يصح أن يكون الحزب من خلال أمينه العام أو غيره حاكماً ، وأن دوره ينبغي أن يكون محصوراً في تحديد الخيارات الكبرى ، فالسلطة للدولة وليست للحزب .

وهذه الطريقة في انتخاب رئيس الجمهورية تشبه النظام الأمريكي ، فالحزب - في أمريكا - يرشح من يراه مناسباً للتعبير عن تطلعاته من خلال منصب رئيس الجمهورية ، ويعطيه فرصة لإبراز مواهبه ويدعمه في اختياراته ... الخ . ولا ريب في أن هذه الطريقة في اختيار رئيس الجمهورية تتناقض مع

التي اعتمدها الحزب الشيوعي السوفييتي .

❁ وأضاف الحزب الحاكم في السودان إشكالية ثالثة حين أخذ بالنظام النيابي على الطريقة الأوروبية ، مع التأكيد على إلزام السلطة بقرارات غالبية النواب ، وتضييق دور مؤسسة رئيس الجمهورية ، مع غياب سلطة مباشرة معلنة ، وهذا يفتح الباب لرئيس مجلس النواب وأعضاء الحزب لكي يمارسوا " السلطة " من الناحية الفعلية .

ولا ريب في أن هذه الخيارات في ترتيب شؤون السلطة ترمي عند الآخذين بها إلى بناء نظام تبرز فيه الشخصية الجماعية بعيداً عن « الشخصانية » التي تدور في فلكها الأنظمة العربية ، وتساهم في تحييد المؤسسة العسكرية وإبعادها عن الممارسة المباشرة للعمل السياسي ، والاحتفاظ بدورها في ضمان استمرار النظام .

إلا أن هذه الهيكلية حملت في طياتها متناقضات لم تظهر عند الإقرار العاطفي للوائح ، وهذه الهيكلية هي المسؤولة عن تراكم التناقضات التي أفضت إلى إجراءات الرابع من رمضان ١٤٢٠هـ والتي أظهرت للدنيا :

◆ أن في السودان أزمة سلطة .. فقد أكدت تصريحات وبيانات رئيس الجمهورية أنه لا يمكن أن يكون للحكم رأسان ، وأنه - باعتباره ولي الأمر المبايع من الناس - قد قرر حسم الأزمة المتفاقمة ورد الأمور إلى نصابها .

◆ وأن معارضي تيار رئيس الجمهورية قد سارعوا إلى مؤسسات الحزب والدولة لإبطال قرارات الرئيس باعتبارها غير دستورية .

ولم تسفر محاولات التقريب والمصالحة من داخل البلاد وخارجها عن حلول للأزمة ، لأن أسبابها متجذرة في الفكر السياسي المعتمد في تنظيم سلطات الدولة وتسيير شؤونها ، ولن تحل محاولات التأكيد على مرجعية اللوائح المنظمة لعلاقات مؤسسات الدولة والحزب الحاكم ، فهذه اللوائح معلومة لدى أطراف المشكلة ، وهي إما مرفوضة أو أن نصوصها تؤول بطريقة تخدم اجتهاد طرفي النزاع . ونرى أن الحل الجذري لهذه الأزمة يقتضي إعادة النظر في الفكر السياسي للحزب الحاكم بحيث يستنبط نظاماً للحكم يعتمد على مباديء الإسلام ، ويستفيد من تجارب البشر ، شريطة أن ينأى هذا الفكر عن إسقاط « نظام البيعة لأمير الجماعة » في مرحلة الدعوة على مؤسسات الدولة ، وفي رأينا فإن الأزمة أزمة فكر وليست مشكلة أفراد ، بمعنى أنها لن تحل بغياب فرد ، وعسى أن تستفيد الحركة الإسلامية من هذه

التجربة فتعمل على تطوير فكرها السياسي بما يتناسب مع ظروف كل مرحلة وموقع ، وبما يتلاءم مع نظام الدولة ، ولن يتم لها ذلك إلا بتوفير شروط التطوير في حالة الرخاء والهدوء ، فهذا يجنب العاملين كثيراً من الأزمات ، ولأن اتخاذ قرارات في ظل الشدة والأزمة قد يحمل في ثناياه بذور مشكلة أكبر .

ولا يفوتنا أن نسجل تقديرنا الكبير لطريقة التعامل النبيلة التي لجأ إليها المختلفون في السودان ، ونأمل أن يبقى الوضع بعيداً عن الإثارة والعنف أثناء التعاطي مع هذه الأزمة ، وندعو الله لإخواننا في السودان بالتوفيق إلى أفضل الحلول في معالجة هذه الإشكاليات .. التي نرجو أن تكون عابرة .